

الخطب الجامعة

زاد الواعظ والداعية

الجزء الثاني

إسماعيل محمد القاسم

عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية

إمام وخطيب جامع الصديق بالرياض

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فيوم الجمعة يوم عيد المسلمين الأسبوعي؛ وقد شرع الله فيه خطبة تقرب العباد إلى الله، قال ابن القيم -رحمه الله-: "ومن تأمل خُطْبَ النبي -صلى الله عليه وسلم- وخطب أصحابه وجدها كفيلاً ببيان الهدى والتوحيد، ودكر صفات الرب -جل جلاله-، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، ودكر آلائه -تعالى- التي تُحببه إلى خلقه، وأيامه التي تُخوفهم من بأسه، والأمر بدكره وشكره الذي يحبهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحبه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره ودكره ما يحبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم".

وبعد أيها الكرام؛ فبعد إصدار المجموعة الأولى من الخطب (٩٠ خطبة) التي ألقيتها في جامع خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- بمدينة الرياض، لفترة تزيد على عقد من الزمان. ها هي المجموعة الثانية (١٧ خطبة) من الخطب الجامعة بين أيديكم.

أسأل الله أن ينفع بها المسلمين، وأن يجعلها ذخراً لنا في الآخرة.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الوهاب

الخطبة الأولى:

من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى الوهاب، وهو على وزن الفَعَال للمبالغة، ومعناه: كثير الهبات والعطايا.

فالله -عز وجل- هو الوهَّابُ يَهَبُ لعباده واحدٍ بعد واحدٍ، ويعطيهم تفضلاً وابتداءً من غير استحقاق ولا مكافأة. وهو -سبحانه- الذي يُكثر العطاء بلا عَوْض، ويهب ما يشاء لمن يشاء، ويعطي الحاجة بغير سؤال.
قال ابن القيم -رحمه الله-:

وكذلك الوهَّابُ من أسمائه *** فانظر مواهبه مدى الأزمان

أهل السماواتِ العُلى والأرضِ *** عن تلك المواهب ليس ينفكان

فالله واهب النعم للخلائق لا وهَّاب لها غيره، ولا رازق لها سواه، ولا معطي غيره؛ قال - تعالى -: (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [النمل: ٦٠-٦٤].

وهبات الله لخلقه كثرة ومتعددة ومتنوعة ومختلفة، فما من مخلوق أُعطي رزقاً إلا والله المعطي، وما من عبدٍ وُهبَ نعمة إلا والله الوهاب.

هباته كثيرة، وعطاياه عديدة، فوهب - سبحانه - النبوة لمن شاء من عباده واختار: قال - سبحانه - عن موسى - عليه السلام -: (فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [الشعراء: ٢١]. وأخبر عن إسحاق ويعقوب - عليهما السلام - فقال: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) [مریم: ٤٩].

ويهب - سبحانه - الولد الصالح قال - تعالى - عن نبيه إبراهيم - عليه السلام -: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) [الأنبياء: ٧٢]. وقال - عز وجل - عن داود - عليه السلام -: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) [ص: ٣٠]. وقال - جل وعلا - عن زكريا: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِيْحَى) [الأنبياء: ٩٠].

وقد يجمع الله - عز وجل - كلا المهبتين من الذكور والإناث لمن شاء، قال - تعالى -: (يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

ومن هبات الله للرجال أن يهب لهم زوجة صالحة؛ قال - تعالى -: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان: ٧٤]. والأهل هبة من هبات الله قال - تعالى - عن أيوب - عليه السلام -: (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا) [ص: ٤٣].

والأخ الصالح هبة: قال - تعالى - عن موسى حين أرسل معه أخاه هارون: (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) [مریم: ٥٣].

والأخلاق الطيبة هبة قال - عز وجل - عن هباته لبعض الأنبياء والرسل - عليهم السلام -: (وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) [مریم: ٥٠].

هباته تتابع، ونعمه تكاثرت، وفاض كرمه وزاد بره، وكثر خيره.

الخطبة الثانية:

الوهاب هو الله وحده فكل من يهب شيئاً من الخلق إنما يهب من هبات الله له، فلا بد أن يهبه الله ليهب، وأن يُعطيَه الله ليُعطي قال -تعالى-: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) [النحل: ٥٣].

يغفر الذنوب، ويفرّج الكرب، ويغني الفقير، ويشفي المريض، ويسلي الصابر، ويزيد الشاكر، ويقبل التائب، ويجزي المحسن، ويعطي المحروم، وينصر المظلوم. لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا قابض لما بسط، ولا باسط لما قبض.

قال ابن كثير -رحمه الله-: "يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم، وهو أعلم بذلك فيغني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر، كما جاء في الحديث المروي "إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُهُ إِلَّا الْغِنَى، وَلَوْ أَفْقَرْتَهُ لَفَسَدَ دِينُهُ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ وَلَوْ أَغْنَيْتَهُ لَفَسَدَ دِينُهُ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "قد يكون الفقر لبعض الناس أنفع من الغنى، والغنى أنفع لآخرين كما تكون الصحة لبعضهم أنفع".

ما أعطاك من النعيم، فبفضله وما منعك فبعده.

ما للعباد عليه حق واجب *** كلا ولا سعى لديه ضائع

إن تُعموا فبفضله أو عُذّبوا *** فبعده وهو الكريم الواسع

فاحمد الله على ما وهبك الله من هبات، كما قال خليل الرحمن -عليه السلام- حين وهبه الله ولديه إسماعيل وإسحاق -عليهما السلام- (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) [إبراهيم: ٣٩]. والزم الدعاء كما دعاء إبراهيم -عليه السلام- ربه الحكيم والصلاح: (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [الشعراء: ٨٣].

وجُد على عباد الله كما جاد الله عليك، وأحسن لهم كما أحسن الله إليك.

وصلوا وسلموا....

المحسن

الخطبة الأولى:

من أسماء الله وصفاته المحسن، وهو غاية الجمال والكمال والجلال. قال نبي الله إلياس - عليه السلام - لقومه: (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) [الصفات: ١٢٥]. ومن صفة الله على خلقه أنه - سبحانه - (أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) [السجدة: ٧].

والله محسن إلى عباده، قال ابن تيمية - رحمه الله -: "والله - سبحانه - هو المنعم المحسن إلى عبده بالحقيقة؛ فإنه المتفضل بجميع النعم وإن جرت بواسطة؛ إذ هو مُيسِّر الوسائط ومُسَبِّب الأسباب".

والإحسان: هو فعل ما هو حَسَن وهو ضد المساوي؛ قال - تعالى -: (وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) [الرعد: ٢٢].

والإحسان: المراقبة وحُسن الطاعة؛ فمن راقب الله أحسن عمله، والله يأمر به (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) [النحل: ٩٠]. ومن أحسن عمله فلن يُضَيِّعَ اللهُ ثوابه قال - تعالى -: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) [الكهف: ٣٠].

ومن أحسن فقد أحسن إلى نفسه قال - تعالى -: (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ) [الإسراء: ٧].

والإحسان يشمل الأقارب والأباعد قال - تعالى -: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء: ٢٣].

هناك أعمال من أداها فقد أحسن لنفسه ولغيره.

أولها: الصبر في مواجهة الملمات والشدائد قال - سبحانه -: (وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [هود: ١١٥]. والخطاب هنا للنبي - صلى الله عليه وسلم -؛ أي: اصبر يا أيها الرسول على ما تلقى من المكارِه ومن أذى المشركين، فإن الله معك وهو لا يضيع ثواب المحسنين.

مجاهدة النفس في كتم الغيظ ومحاربة الشح وكبح شهوة الانتقام، قال -تعالى-: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٣٤].

والإحسان في تبليغ الدين وذلك بالمجادلة بالتّي هي أحسن وهي الدعوة إلى الله بآياته والتنبيه على حججه قال -تعالى-: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [العنكبوت: ٤٦].

وعند الخصومة والخلاف قال -تعالى-: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [فصلت: ٣٤]؛ وذلك كدفع الغضب بالصبر والإساءة بالعفو؛ فإذا فعلت ذلك صار الذي بينك وبينه عداوة كالصديق القريب. وفي مال اليتيم يكون التصرف بالطريقة التي هي أحسن وهي حفظه واستثماره، قال -تعالى-: (وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [الأنعام: ١٥٢].

الخطبة الثانية:

والله -سبحانه- كتب الإحسان على كل شيء قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته" (رواه مسلم).

ومن أحسن إلى الناس نال الثواب قال -تعالى-: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) [النحل: ٣٠]. فمن أحسن عمله في الدنيا كان له عند الله الجزاء الحسن في الآخرة، كقوله -تعالى-: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [يونس: ٢٦]. والحسنى: هي الجنة. والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم.

ومثله قوله -تعالى-: (وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ) [النجم: ٣١]، وقوله -تعالى-: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [الرحمن: ٦٠]، وقوله -تعالى-: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) [النمل: ٨٩].

ومن أحسن في دنياه فإنه يسعد بإحسانه في الدنيا وفي الآخرة، قال ابن القيم -رحمه الله-:
"الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الإحسان؛ فإن الكريم
المحسن أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق
الناس صدرًا، وأنكدهم عيشًا، وأعظمهم همًّا وغمًّا".
وصلوا وسلموا....

الْمَنَّا

الخطبة الأولى:

أسماء الله حسنى، قال -تعالى-: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف: ١٨٠]؛ أي بالغة في نهاية الحسن والجمال والجلال. وصفاته -سبحانه- صفات جمال وجلال وعظمة؛ فهو (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١].

فله -سبحانه- من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحكمها، فأفعاله -سبحانه- دائرة بين الفضل والعدل.

ومن أسماء الله الحسنى وصفاته العلى: المنان.

ومعناه: كثير العطاء، عظيم المواهب، وافر الإحسان على خلقه، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "المنان الذي يجود بالنوال قبل السؤال".

فالله منان على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقهم إياهم، فهو المعطي ابتداءً، وله المنة على عباده، ولا منة لأحد عليه؛ تعالى الله علوًّا كبيرًا.

وقد ورد في الحديث أن رجلاً دعا في صلاته؛ فقال: "اللهم إني أسالك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم"؛ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى" (رواه ابن ماجه).

وصفة المنّ في حق الله -جل جلاله- صفة كمال، وأما المخلوق فصفة نقص وإذلال. فالله منّ علينا بأعظم منّة فقال -سبحانه-: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [آل عمران: ١٦٤].

وقال - سبحانه - عندما مَنَّ الأعرابُ بإسلامهم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - : (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الحجرات: ١٧].

فأعظم مَنَّةً مَنَّ الله بها على عباده: مبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهداية العباد إلى الله والانقياد لحكم الله وحكم رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

وَمَنْ الخَلْقُ فيما بينهم على قسمين:

قسم ممدوح: أن يكون عطاؤه أو مَنُّه لوجه الله - تعالى -، لا لنيل عَوْضٍ من الدنيا، ومن هؤلاء: صِدِّيق هذه الأمة أبو بكر - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "وإن مِنْ أَمَنِّ الناسِ عَلَيَّ في ماله أبا بكر"، وقال: "ما أحد أمن عَلَيَّ مِنْ ابنِ أَبِي قحافة".

والقسم المذموم: أن يَمُنَّ الإنسان بالعطية؛ أي: يذكرها ويمررها له، أو يذكرها لمن لا يجب الأخذ اطلاقاً عليه، ومنه قول الله - تعالى -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) [البقرة: ٢٦٤]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب"، وقد ورد في الحديث: "لا يدخل الجنة منان" (رواه النسائي).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "ويحرم المن بالصدقة وهو كبيرة".

والمنة لله وحده، فإذا أمكن الله العبد من عطاء لأحد من الناس فعليه أن يتواضع لله الذي وقَّفه لأن يكون معطيًا لا آخذًا. قال ابن سيرين: "لا خير في المعرف إذا أُحصِيَ".

وسبب المنَّة من المخلوق لمخلوق آخر: اغترار العبد بمدح الناس له الذين ربما وصفوه بما ليس فيه، ولربما صدَّقهم مع قلة ابتغاء الثواب من الله، قال الهيثمي: "لا يَمُنُّ إلا مَنْ غَفَلَ أن الله - تعالى - هو المعطي والمتفضل".

الخطبة الثانية:

المنعم على عباده في الحقيقة هو الله، والمال مال الله، والعباد وسائط، ولذا اختص الله بالمنِّ وجعله صفة لنفسه.

فامتنان العباد تكديراً وتعويضاً، وامتنان الله إفضالاً وتذكيراً، قال ابن القيم -رحمه الله-: "قد تولى الله ثواب المعطي، وردَّ عليه أضعاف ما أعطى.. فإذا امتن عليه فقد ظلمه ظلمًا بينًا".
منة الله منة لا تنقطع، وأفضاله لا تنفذ، قال -تعالى-: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْ نُجْزِيَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: ٩٦]؛ منة المخلوق تنقطع بموته: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ) [الطور: ٣٠]، قال ابن عباس: "أي يتربصون به الموت".

أعظم منة نعمة الإسلام، الزمها، وحافظ عليها، وادعُ الله بالثبات عليها، وهي أن هداك لهذا الدين وعبادة رب العالمين، فيها سعادة الدارين (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ) [القلم: ٣].
واحرص أن تكون صدقتك طيبة بها نفسك دون من ولا أذى (لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا) [الإنسان: ٩].
وصلوا وسلموا....

المُدَبِّر

الخطبة الأولى:

من صفات الله -عز وجل-، أنه هو النافع الضار، المعطي المانع، المحيي المميت، القابض الباسط، الأول الآخر، الظاهر الباطن، وغيرها من الصفات؛ وأسماؤه -جل وعلا- حسنى، وصفاته علا.

ومن أسماؤه الحسنى وصفاته العلى: المدبر؛ فهو -سبحانه- المدبر للكون، وما فيه وما عليه. فتسيير السحاب بتدييره، وتصريف الرياح بتدييره وتعاقب الليل والنهار والشمس والقمر بتدييره. يدبّر أمور الكون على ما يريد، فما كان فيه وما يجري فيه من صغير أو كبير؛ فبإرادته -سبحانه- وتدييره، وهي بعلم منه وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن -سبحانه وتعالى-.

فالله يدبّر أحوال العباد؛ يُسعد ويُشقي، ويمنع ويعطي، ويُفقر ويُغني، ويُمرض ويُصحّ، ويحيي ويميت، كل الأمور بيده، ومصير كل العباد إليه، لا إله إلا هو.

ومن كماله وجلاله وأوصاف ربوبيته أن المشركين مقرون بأن الله هو المدبر لشؤونهم، قال -تعالى-: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [يونس: ٣١].

قال ابن كثير: "الله -سبحانه- يدبر الخلائق (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [سبأ: ٣]، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلظه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا يلهيه تدبير الكبير عن الصغير في الجبال والبحار والعمران والقفار (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [هود: ٦]، وقال -تعالى-: (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [الأنعام: ٥٩].

قال الألوسي: " (يُدَبَّرُ الْأَمْرَ) استئناف لبيان حكمه استوائه - جل وعلا - على العرش، وتقدير عظمته، والتدبير هو النظر في أدبار الأمور وعواقبها، لتقع على الوجه المحمود، والمراد به هنا التقدير الجاري على وفق الحكمة والوجه الأتم الأكمل.

ومن تدبير الله للخلق أن دبّر لهم ما يُصْلِحهم في أمور دينهم ودنياهم بإرسال الرسل - عليهم السلام-؛ فلا تستقيم شؤون العباد إلا بأمر خالقها: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) [النساء: ١٦٥]، وهم بَلَّغُوا الرِّسَالَه حَقَّ الْبَلَاغِ مِنْ دَعْوَتِهِمْ لِتَوْحِيدِ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ، والأمر بسلوك الخلق الرفيع، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ".

وقد دبّر الله للخلق ما يناسبهم في موطن عيشتهم؛ فأهبط آدم -عليه السلام- إلى الأرض التي تصلح للحياة، وجعل الأرض مهادًا، وثبّتها بالجبال، وجعل لها رواسي ودحاها، وأجرى الماء على سطحها، فجعلها متاعًا للعباد وللأنعام.

الخطبة الثانية:

دبر الله للعباد أمور دينهم، فأرسل لهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ودبّر لهم أمور دنياهم، فخلق الله الليل والنهار وجعل الأزمنة مقدّرة بتدبيره؛ فهو -سبحانه-: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) [الحج: ٦١]. ورَتَّبَ الْمُطَالَعِ قَالَ -تعالى-: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [يس: ٣٨-٤٠].

كل ذلك في بتدبير مرتّب مقدّر محدود ومعدود. فما دبّره للخلق في معاشهم هو ما يناسبهم قال -تعالى-: (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) [الرعد: ٨].

فعلى المسلم أن يرضى بتدبير الله لشؤونه، ويسلم لأمره وينقاد لشرعه؛ فالله (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [الزمر: ٦٢].

وصلوا وسلموا.....

الفتاح

الخطبة الأولى:

أسماء الله حسنى وصفاته علا، وهي تزيد العبد إيماناً وقرّباً من مولاه، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته كان إيمانه به أكمل".
وقد وصف الله نفسه الكريمة بـ"الفتاح"، وهي صيغة مبالغة من الفتح، قال -سبحانه-:
(وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) [سبأ: ٢٦]. وقد سمي الله نفسه به على سبيل الإطلاق مراداً به العلمية ودالاً على الوصفية، وقد ورد المعنى محمولاً عليه مسنداً إليه في نص واحد من النصوص القرآنية وهو قوله -تعالى-: (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) [سبأ: ٢٦].

والفتح نقيض الإغلاق، قال -تعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) [الأعراف: ٤٠]، والمعنى أن أبواب السماء تُغلق، أما أرواحهم فلا تَصْعَدُ أرواحهم ولا أعمالهم؛ لأن أعمال المؤمنين وأرواحهم تصعد إلى السماء.
واسم الفتح يدل بالضرورة على الحياة والقيومية والسمع والبصر والعلم والقدرة والغنى والرحمة، والعزة والقوة، والعدل والحكمة، وغير ذلك من أوصاف الكمال، واسم الله الفتح دل على صفة من صفات الأفعال.

ومن معاني اسم الله الفتح:

أولاً: أنه -سبحانه- هو الحاكم الذي يفتح بين عباده؛ فيثبت الطائعين، ويعاقب العاصين، قال -سبحانه-: (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) [سبأ: ٢٦].
ومنها: نصر أهل الحق وإذلال أهل الباطل قال -سبحانه-: (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) [الأعراف: ٨٩]، قال ابن كثير -رحمه الله-: "أي افصل بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم، (وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)؛ أي الحاكمين".

وقد سمي الله يوم القيامة لعِظَمِهِ وَهَوْلِهِ بيوم الفتح؛ كما قال -عز وجل-: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) [السجدة: ٢٨-٢٩].

ومن معاني اسم الله الفتح: أنه -سبحانه- يفتح لعباده ما يشاء من أبواب الخيرات والبركات، قال -تعالى-: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) [فاطر: ٢]؛ أي يفتح لعباده منافع الدنيا والدين فيفتح لمن اختصهم بلطفه بالمعلوم النافعة، والمعارف والحقائق الإيمانية، ما يصلح أحوالهم وتستقيم به قلوبهم على الصراط المستقيم، ويفتح لعباده أبواب الرزق الواسعة وأسباب جلبه المختلفة.

ومن معاني هذا الاسم الكريم أنه -سبحانه- يفتح كل مغلق؛ فيكشف الكرب، ويزيل الغم ويرفع البلاء.

ومن المعاني أنه يفتح أبواب رحمته، وكذلك يفتح أبواب الهلاك والبلاء على الكافرين، قال نوح -عليه السلام-: (قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الشعراء: ١١٧-١١٨].

فاستجاب الله دعاء نبيه -عليه السلام-؛ ففتح بينه وبين قومه بالحق والنصر، فأنجى الله رسوله -عليه السلام- وأهلك عدوه.

ولذا من معاني هذه الصفة أن يفتح لهم ما استعصى عليهم من القلوب والديار، قال -تعالى- ممتنًا على نبيه -عليه السلام- ومن معه من الصحابة على فتح مكة (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) [الفتح: ١]، وقال -عز وجل-: (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) [الفتح: ١٨].

والله -سبحانه- من صفاته أنه الفاتح بمعنى الناصر (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) [الأنفال: ١٩]؛ أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، والخلق كلهم مفتقرون إليه؛ لأنه -سبحانه- هو الفتح العليم، وليس بيد أحدهم من خلقه ذلك.

والله - سبحانه - فتح على عباده خزائن جوده وكرمه وأفضاله وإنعامه، فما يأتيهم من مطر أو رزق فلا يقدر أي مخلوق أن يمنع ذلك أو ينقصه. (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [فاطر: ٢].

وكما أن الله يفتح أبواب الرِّحمة والرزق لعباده أجمعين، يفتح أبواب البلاء لامتحان الصادقين، قال - تعالى -: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [الأعراف: ٩٦].

وقد يفتح الله للعاصين أبواباً من الدنيا استدراجاً قال - تعالى -: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: ٤٤-٤٥].

فالفتاح إذًا: هو الذي يفتح خزائن جوده وكرمه لعباده الطائعين، ويفتح أبواب البلاء والهلاك على الكافرين المعاندين، وهو الذي يَفْتَحُ على خَلْقِهِ ما انغلق عليهم من أمورِهِم فَيَسِّرُها لهم فَضلاً منه وَكَرَمًا، فهو الذي بيده خزائن والسماوات الأرض، يفتح منها ما يشاء بحكمته، وعلى ما قضاه في خلقه بمشيئته؛ قال ابن القيم:

وكذلك الفتح من أسمائه *** والفتح في أوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلها *** والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بدين كليهما *** عدلاً وإحساناً من الرحمن
الخطبة الثانية:

ينبغي للعبد أن يعلم أن مفتاح الخير كله في توحيد الله - عز وجل - ومتابعة نبيه - صلى الله عليه وسلم -، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ، أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبداً لله ورسوله؛ إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء" (رواه مسلم).

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تُفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر" (رواه الترمذي).

فعلى العبد أن يعتمد على ربه قبل الأخذ بالأسباب، وأن يطلب منه وحده مفاتيح الخير، وذلك يكون بحسن توكله عليه وركونه إليه، وأن يحذر من الدنيا إذا فُتِحَتْ عليه، قام النبي - صلى الله عليه وسلم - على المنبر فقال: "إنما أخشى عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من بركات الأرض" (رواه البخاري).

وفيه أيضاً: "إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها"، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير" (رواه ابن ماجه).

فتح الله علينا وعليكم من أبواب خيره وجوده، ورحمته.
وصلوا وسلموا...

العزیز

الخطبة الأولى:

العزیز من أسماء الله -تعالى-، وهو من أكثر أسماء الله الحسنی الواردة في القرآن الكريم، وقد ورد في أكثر من ثمانين موضعًا، ومعنى العزیز هو القوي الغالب، الجليل الشريف، وهو الذي لا مثيل له ولا مشابه ولا نظير.

ومن معانيه: القوي الشديد الغالب الذي لا يُقهر ولا يُغلب، لا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضروه، ولا نفعه فينفعوه؛ قال -سبحانه-: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [المجادلة: ٢١]. وقال -سبحانه-: (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) [الشورى: ١٩].

فالعزیز هو المتصف بالعزة (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران: ٦]، وقوله -تعالى-: (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُمُ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) [النساء: ١٣٩]، وقوله -تعالى-: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الصفات: ١٨٠]، وقوله -تعالى-: (وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [يونس: ٦٥]، وقوله -تعالى-: (يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [المنافقون: ٨].

وأكثر الصفات اقترانًا بالعزیز هو الحكيم، قال ابن القيم -رحمه الله-: "ولهذا كثيرًا ما يقترن -تعالى- بين هذين الاسمين في آيات التشريع والتكوين والجزاء؛ ليدل عباده على أن مصدر ذلك كله عن حكمة بالغة وعزة قاهرة".

واقترن العزیز بالرحيم عند الحديث عن الأنبياء -عليهم السلام- وقصصهم مع أقوامهم، فإن ما حكم به لرسله وأتباعهم ولأعداهم صادرة عن عزة ورحمة، فوضع الرحمة في محلها، وانتقم من أعدائه بعزته، ونجى رسله وأتباعهم برحمته.

كما أن مَنْ اتصل بالله فهو عزيز فهو يستمد عزته وقدرته من عزة العزيز - سبحانه -، فالقرآن الكريم عزيز؛ لأنه كلام العزيز قال - سبحانه -: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) [فصلت: ٤١]؛ فهو عزيز بإعزاز الله إيَّاه وحفظه له من كل تغيير أو تبديل. والمؤمن دائم عزيز بعز الله، قال - تعالى -: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [المنافقون: ٨]، والمكذب لله ورسوله فإن الله توعدهم بقوله: (فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ آخِذًا مِّنْ عِزِّهِ مُقْتَدِرِينَ) [القمر: ٤٢].

وتتجلى عزة الله في هذا الكون الذي أبدع خلقه بما فيه من مخلوقات ليجري الكل وفق نظام محكم دقيق للغاية (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) [فصلت: ١٢]. وقال - سبحانه -: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) [الزمر: ٥].

فلا تطلب العزة إلا من العزيز؛ فمن طلبها من غيره ذل، قال - تعالى -: (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتَعُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) [النساء: ١٣٨-١٣٩].

الخطبة الثانية:

على المسلم أن يسعى لأسباب تحصيل العزة فمنها: العفو والتواضع قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" (رواه مسلم). ومنها الاستغناء بالخالق عن الخلق؛ قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس" (رواه الحاكم).

ومنها طاعة الله عموماً، قال - تعالى -: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [المنافقون: ٨]. وقد كان الإمام أحمد - رحمه الله - يدعو: "اللهم أعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك". والعزة عموماً في هذا الدين قال عمر - رضي الله عنه -: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام؛ فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله".

فاحرص على طاعة مولاك فإنها لك عز في الدنيا ورفع في الآخرة.

القادر

الخطبة الأولى:

أثنى الله على ذاته العلية، فوصف نفسه بأنه القادر، والقدير، والمقتدر، وكلها من أسماء الله الحسنى قال -تعالى-: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) [الأنعام: ٦٥].

والقدير؛ قال -تعالى-: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الملك: ١].
والمقتدر؛ قال -تعالى-: (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ) [القمر: ٥٥].

وفي السُّنَّة كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول دُبُر كل صلاة مكتوبة: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" (رواه البخاري).

فالقادر هو الذي له القدرة المطلقة، والقوة التامة الكاملة، القادر على ما يشاء، الفعَّال لما يريد، وهو الذي إذا أراد شيئًا (وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [البقرة: ١١٧].

والمقتدر معناه: المتمكن من كل شيء بإحاطة تامة، وقوة بالغة، لا يمتنع عليه شيء.
ومعنى القدير: المصلح للخلائق على وجه لا يقدر عليه أحد إلا هو، وما من شيء تسمع به أو والله هو الذي خلقه فقدَّره تقديرًا.

قدرة الله عظيمة، انظر إلى مخلوقاته وكثرة إعدادها واختلاف أحجامها، وتنوع صورها وألوانها (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) [الطلاق: ١٢].

والله -سبحانه- بقدرته قادر على إخضاع الكائنات أينما كانت، وعلى أي قوة وُجِدَتْ (أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: ١٤٨].

ومن مظاهر قدرة الله -عز وجل-: إهلاك المكذبين المعاندين لرسله -عليهم السلام- (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا

قَدِيرًا) [فاطر: ٤٤]. وقال - سبحانه -: (وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ) [القمر: ٤١-٤٢].

ولك أن تنظر إلى قدرة الله - تعالى - في آياته الكونية من الزلازل والبراكين والأعاصير وهي لا تكون لحظات وتصبح المدن خرابًا ودمارًا، قال - تعالى -: (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [يونس: ٢٤].

له - سبحانه - الخلق والأمر وحده، أتقن ما صنع، وأبدع ما خلق، وقدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، حي لا يموت، جميع الخلق تحت قهره وقبضته.

الخطبة الثانية:

لا غنى للمسلم عن قدرة الله - تعالى - في شؤونه؛ فقد علم النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه - رضي الله عنهم - في التوسل والدعاء إلى الله بقدرته؛ قال جابر - رضي الله عنه -: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يُعَلِّمُنَا الاستخارة في الأمور كلها، كما يُعَلِّمُنَا السورة من القرآن، يقول: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ" (رواه البخاري). ففي هذا الدعاء ركون العبد إلى قدرة الله، مع إظهار ضعفه وجهله وقله علمه.

وليعلم المسلم أنه لا يحدث شيء في ملك الله إلا بأمره - سبحانه -، فلا غنى ولا فقر ولا شفاء ولا مرض ولا أمن ولا خوف إلا بمشيئة الله - تعالى -: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [آل عمران: ٢٦].

فعلى المسلم أن يُفوّض أمره إلى الله القادر القدير المقتدر، فهو - سبحانه - وحده قادر، وما
سواه ضعيف، والتزام دومًا بالدعاء والتضرع والصدقة والصلاة وتلاوة كلام الله؛ فهن مفاتيح
الخيرات والبركات.
وصلوا وسلموا...

الطيب

الخطبة الأولى:

لله الأسماء الحسنى والصفات العلى، قال -تعالى-: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف: ١٨٠]؛ أي بالغة في نهاية الحسن والجمال والجلال. وصفاته -سبحانه- صفات جمال وجلال وعظمة؛ فهو (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]. ومن أسماء الله وصفاته الطيب، حوى جمال الوصف وجمال المعنى. فهو -سبحانه- الطيب الذي لا أطيب منه، المنزه عن كل عيب ونقص، فهو -سبحانه- طيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأقواله وأفعاله.

اسمه طيب، وفعله طيب، ولا يقرب من إلا طيب، فما طاب شيء إلا بطيبته -سبحانه-، فعمل المؤمن الصالح طيب، وقوله طيب، وكسبه طيب، ونفقته طيبة، فالله طيب، ودينه طيب، وأحكامه وشرعه تطيب بها النفوس، وتطمئن لها القلوب، وإليه يصعد الكلم الطيب قال -تعالى-: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) [فاطر: ١٠].

فالطيبات كلها له، ومضافة إليه، وصادرة عنه، ومنتھية إليه، فالطيبات له وصفاً وفعلاً وقولاً ونسبة، وكل طيب مضاف إليه وكل مضاف إليه طيب، فالله لا يقبل إلا طيباً؛ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا" (رواه مسلم).

وما سوى الطيب فليس إليه -سبحانه-؛ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "والشر ليس إليك" (رواه مسلم).

وأمر الله -سبحانه- عباده أن ينفقوا من الطيبات؛ قال -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) [البقرة: ٢٦٧]. وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمْرَةً مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَرِيهَا لِمَا حَبَّهَا كَمَا يَرِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ كَالْجِبَالِ" (رواه البخاري ومسلم)، والفلو: هو الخيل الصغير.

ومن طيبه - جل وعلا- أنه جعل الكلمة الطيبة لا تليق إلا بالطيب من الرجال والنساء، قال - سبحانه-: (الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثُثُونَ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [النور: ٢٦].

وأهل الإيمان هداهم الله إلى الكلم الطيب قال - تعالى-: (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) [الحج: ٢٤].

وكلامه - سبحانه وتعالى - طيب؛ قال النبي - صلى الله عليه وسلم-: "أربع من أطيب الكلام، وهن من القرآن، لا يضررك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر" (رواه أحمد).

وقسم الله الكلام إلى طيب وخبث؛ فجعل كلمة التوحيد هي الطيبة فقال: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

ويبين النبي - صلى الله عليه وسلم- أن من أسباب اتقاء النار الكلمة الطيبة فقال: "اتقوا النار ولو بشق تمرة؛ فإن لم تجدوا بكلمة طيبة" (متفق عليه).

الخطبة الثانية:

وعد الله المؤمنين بالحياة الطيبة قال - تعالى-: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: ٩٧].

والمؤمنون عند نزع أرواحهم ورد في الحديث يقال للروح: "اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب"، كما قال - سبحانه-: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [النحل: ٣٢].

والمؤمنون لهم في الجنة مساكن طيبة، قال - تعالى-: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ٧٢].

فلا يجاوره - سبحانه - إلا الطيبون؛ قال - تعالى - : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا
خَالِدِينَ) [الزمر: ٧٣].

فليحرص المسلم على طيب قوله وفعله وكسب ماله وأكله وشربه ومسكنه؛ فالحرام مهما
كثُر لن يكسب المرء منه سعادة ولا استجابة لدعائه، فقد ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم -
"الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه
حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام؛ فأني يُستجاب له" (رواه مسلم).
وَقَفَّنا الله للقول الطيب والفعل الطيب، وجعل دنيانا وآخرتنا طيبة.

سيرة أبو عبيدة رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

بَيْنَ اللَّهِ فَضْلَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -، وَأَنَّهُ - سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى - (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١٠٠].

والنبي - صلى الله عليه وسلم - قال فيهم: "لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مدّاً أحدهم ولا نصيفه" (متفق عليه)، وهم خير البشر بعد الأنبياء - عليهم السلام -: "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" (متفق عليه). ومنهج أهل السنة واضح في بيان فضلهم وعلو شأنهم، ورفع مكانتهم.

من الصحابة الكرام صحابي جليل لا يُطْرَقُ له كثيرًا، ومروياته قليلة، مع علو منزلته التي أوشك أن يخلف النبي - صلى الله عليه وسلم - على أمته، بحضور أبي بكر وعمر وبقية الصحابة - رضي الله عنهم -.

إنه أبو عبيدة عامر بن الجراح يجتمع نسبه مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجد السابع، وهو أحد السابقين الأولين، ومن العشرة المشهود لهم بالجنة، وشهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وممن هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة أيضًا، وكان يدعى "القوي الأمين".

واشتهر فعله مع النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فقد نزع يومئذ الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ضربة أصابته يوم أُحُد، فانقلعت ثناياه، فحسَنَ ثغره بذهاهما، حتى قيل: "ما رُئِيَ هتم قط أحسن من هتم أبي عبيدة".

قال في فضله النبي - صلى الله عليه وسلم -: "نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح"، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه: "لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح" (رواه البخاري).

عزم الصديق على توليته الخلافة بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأشار به يوم السقيفة، لكمال أهليته؛ فقال أبو بكر -رضي الله عنه- للصحابة: "قد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين: عمر، وأبا عبيدة".

قال عمر -رضي الله عنه- في فضل أبي عبيدة: "إن أدركني أحلي، وأبو عبيدة حي، استخلفته، فإن سألتني الله -عز وجل-: لم استخلفته على أمة محمد؟ قلت: إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن لكل أمة أمينًا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح".

وقال عمر -رضي الله عنه- مرّةً لجلسائه: "تمنوا"، فتمنوا، فقال عمر: "لكني أتمني بيتًا ممتلئًا رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح".

وقال عبد الله بن شقيق: قلت لعائشة: أيُّ أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان أحبّ إليه؟ قالت: أبو بكر. قلت: فمن بعده؟ قالت: عمر. قلت: فمن بعده؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح".

ومناقبه -رضي الله عنه- كثيرة؛ فزهده ظاهر للناس، لما دخل عمر بن الخطاب الشام، ورأى عيش أبي عبيدة، وما هو عليه من شدة العيش قال له: "كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة".

رضي الله عنه وعن بقية الصحابة.

الخطبة الثانية:

لأبي عبيدة -رضي الله عنه- دراية في تولي قيادة الجند؛ ففي غزوة ذات السلاسل أرسله النبي -صلى الله عليه وسلم- بمددٍ وأوصاه بقوله: "لا تختلفا"؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو بن العاص: إنما جئت مددًا لي. فقال أبو عبيدة: لا، ولكني أنا على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه -وكان أبو عبيدة رجلاً سهلاً ليناً هيناً عليه أمر الدنيا- فقال له عمرو: بل أنت مدد لي. فقال أبو عبيدة إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لي: "لا

تختلفا"، وإنك إن عصيتني أطعتك. فقال له عمرو: فإني أميرٌ عليك. قال: فدونك. فصلى عمرو بالناس ولم يختلف مع عمرو بن العاص.

وقد استعمل النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا عبيدة غير مرّة، منها المرة التي جاع فيها عسكريه وعددهم ٣٠٠ حتى أكلوا الخبط، وكانوا ثلاث مئة، فألقى لهم البحر الحوت الذي يقال له العنبر حوتًا ميتًا لم يروا مثله، قالوا: "فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظمًا من عظامه، فمر الراكب تحته، فأخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرًا يقول قال أبو عبيدة: كلوا فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "كلوا رزقًا أخرج به الله، أطعمونا إن كان معكم؛ فأتاه بعضهم فأكله" (رواه البخاري).

وقد كان أحد الأمراء المسييرين إلى الشام والذي فتحوا دمشق، ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة عزل خالد بن الوليد، وكان قصد عمر ألا تتعلق قلوب الناس بخالد بن الوليد وبانتصاراته، واستعمل بدلاً منه أبا عبيدة؛ فقال خالد أدبًا مع أبا عبيدة: وُلِّيَ عليكم أمين هذه الأمة، وقال أبو عبيدة في فضل خالد: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن خالدًا لسيفًا من سيوف الله".

وكان في توليته على إمارة الجند حكمة ولين وبعُد نظر؛ فحين عزل عمر خالدًا، واستعمل على الكل أبا عبيدة، فجاءه التكليف بإمارة الجند، فكتمه مدة، وكل هذا من دينه ودينه وحلمه، فكان فتح دمشق على يده، فعند ذلك أظهر التكليف، ليعقد الصلح للروم، ففتحوا له باب الجابية صلحًا، وإذا بخالد قد افتتح البلد عنوة من الباب الشرقي، فأمضى لهم أبو عبيدة الصلح. ذكر ابن سعد وغيره أن أبا عبيدة -رضي الله عنه- مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

كان ورعًا زاهدًا وجلًا قال: "لوددت أني كبش يذبني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقي".

هذا وَمُض يسير من حياة هذا الصحابي الجليل، رضي الله عنه وأرضاه، وواجبنا في الصحابة عمومًا كما قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "الواجب: الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والترحم عليهم، والترضي عنهم، واعتقاد محبتهم وموالاتهم، وعقوبة من أساء فيهم القول".
وصلوا وسلموا.....

عمرو بن العاص رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

عمرو بن العاص السهمي القرشي صحابي جليل، من دهاة العرب ومن شجعانهم، يُعتبر قائدًا محنكًا، وسفيرًا مفوهًا، أرسلته قريش سفيرًا لها إلى النجاشي ليُسَلِّمَ إليهم من عنده من المسلمين.

أسلم عام الفتح وحسن إسلامه. استعمله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على عمان، فلم يزل عليها إلى أن تُوفِّي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في فضله: "أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص"، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أبناء العاص مؤمنان عمرو وهشام". وقال طلحة: "ألا أحدثكم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشيء؟ إني سمعته يقول: "عمرو بن العاص من صالح قريش" (رواه الترمذي)، وقال -صلى الله عليه وسلم-: "نعم أهل البيت أبو عبد الله، وأم عبد الله، وعبد الله" (رواه أحمد).

وهو أسنّ من عمر بن الخطاب، قال: "إني لأذكر الليلة التي وُلِدَ فيها عمر -رضي الله عنه-".

هاجر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسلمًا في أوائل سنة ثمان، مرافقًا لخالد بن الوليد، وحاجب الكعبة عثمان بن طلحة، ففرح النبي -صلى الله عليه وسلم- بقدمهم وإسلامهم.

قال عمرو بن العاص قال: "ما عدل بي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبخالد منذ أسلمنا أحدًا من أصحابه في حربه".

قال عنه الإمام الذهبي -رحمه الله-: "وكان من رجال قريش رأيًا، ودهاء، وحزمًا، وكفاءة، وبصرًا بالحروب، ومن أشرف ملوك العرب، ومن أعيان المهاجرين".

قال ابن كثير - رحمه الله - عنه: "وقد كان معدودًا من دهاة العرب وشجعانهم وذوى آرائهم وله أمثال حسنة وأشعار جيدة".

ومن فقهه - رضي الله عنه - أنه كان على سرية، فأصابهم برد شديد لم يروا مثله، فخرج لصلاة الصبح، فقال: احتلمت "البارحة"، ولكني والله ما رأيت بردًا مثل هذا، فغسل مغابنه، وتوضأ للصلاة، ثم صلى بهم، فلما قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه: "كيف وجدتم عمرًا وصحابته؟"، فأتونا عليه خيرًا، وقالوا: يا رسول الله صلى بنا وهو جُنُب، فأرسل إلى عمرو، فسأله، فأخبره بذلك وبالذي لقي من البرد، وقال: إن الله قال: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النساء: ٢٩]، ولو اغتسلت متًّا. فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " (رواه أبو داود والدارقطني).

ومن فطنته بالحروب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث عمرًا في غزوة ذات السلاسل، فأصابهم برد، فقال لهم عمرو: "لا يوقدن أحدًا نازًا". فلما قدم شكوه، قال: "يا نبي الله! كان فيهم قلة، فخشيت أن يرى العدو قتلهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين". فأعجب ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قال عمر لأبي بكر - وكانا في الجيش -: "لم يدع عمرو بن العاص الناس أن يوقدوا نازًا، ألا ترى إلى ما صنع بالناس، يمنعهم منافعهم؟ فقال أبو بكر: دعه، فإنما ولّاه رسول الله علينا لعلمه بالحرب".

وتولى قيادة الجيش في عهد أبي بكر - رضي الله عنه - وسيّره أميرًا إلى الشام فشهد فتوحها. وكان عمر بن الخطاب معجبًا بدهائه؛ ففي مرة نظر إليه عمرو بن العاص، فقال: "ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أمير".

فولاه ابن الخطاب قيادة الجند، وشهد عمرو يوم اليرموك، وأبلى يومئذ بلاء حسنًا. وفتح فلسطين والأردن، ثم كتب إليه عمر، فسار إلى مصر، وافتتحها، وبعث عمر الزبير مددًا له، ولم يزل واليًا على مصر إلى أن مات عمر.

وكان إذا ذكر عمر -رضي الله عنه- حصار بيت المقدس وما أبدى فيه عمرو بن العاص - رضي الله عنه- من براعة يقول: "لقد رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب"، وإذا رأى عمر بن الخطاب الرجل يتلجلج في كلامه قال: "خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد".

قال الشعبي: "دهاة العرب أربعة: معاوية وعمرو والمغيرة وزياد".

وفي عهد عثمان أمره على مصر أربع سنين أو نحوها ثم عزله عنها.

لخص حياته في حديث قبيل وفاته بمصر: لما حضرته الوفاة بكى، فقال ابنه عبد الله: لم تبك؟ أجزعاً من الموت؟ قال: لا والله، ولكن لما بعد الموت. فقال له: "كنت على خير". وجعل يذكر صحبتته لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفتوحه الشام ومصر.

فقال عمرو: "تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله، وفي رواية: "إن أفضل ما نُعِدُّ: شهادة: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، إني كنت على أطباق ثلاث: كنت أول شيء كافراً فكنت أشد الناس على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"، وفي رواية: "ولو تمكنت منه لقتلته"؛ فلو مت حينئذ وجبت لي نار.

فلما بايعت رسول الله كنت أشد الناس حياء منه، فلو مت لقال الناس: هنيئاً لعمرو أسلم وكان على خير ومات فترجى له الجنة. وفي رواية: وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطق لأني لم أكن أملاً عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرحوت أن أكون من أهل الجنة. ثم تلبست بالسلطان وأشياء فلا أدري أعليّ أم لي".

لما أراد أن يبايع النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: أريد أن أشرط. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "تشرط بماذا؟" قال: قلت: أن يُعَفَّر لي. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله".

من فوائد هذا الحديث:

قوله -رضي الله عنه-: "إن أفضل ما نُعِدُّ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"، أي: أفضل ما نتخذه عُدة للقاء الله: الإيمان بالله -تعالى-، وتوحيده، وتصديق رسوله -صلى

الله عليه وسلم-، ومَن وَفَّقَهُ اللهُ أَنْ تَكُونَ آخِرَ كَلِمَاتِهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ويتأكد أمر النطق بالشهادتين عند الموت؛ ليكون ذلك خاتمة أمره، وآخر كلامه.

وقوله: "إن الإسلام يهدم ما كان قبله، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وإن الحج يهدم ما كان قبله"؛ عبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالهدم هنا يعني به: الإذهاب والإزالة؛ لأن الجدار إذا انهدم، فقد زال وضعه، وذهب وجوده. والمقصود أن هذه الأعمال الثلاثة تسقط الذنوب التي تقدمتها كلها، كبيرها وصغيرها.

"أما علمت" يا عمرو الذي جاء إلينا يبايعنا، وقد أراد وقوع المبايعه على اشتراط المغفرة "أن الإسلام يهدم ما قبله"، وإنما ذكر الهجرة والحج مع الإسلام تأكيداً في بشارته وترغيباً في متابعتة، وفيه عظم موقع كل من الثلاثة، وأن كل واحد بمفرده يكفر ما قبله.

ولما حضرته الوفاة قال: "اللهم إنك أمرتني فلم أؤتمر، وزحرتني فلم أنزجر، اللهم لا قوياً فأنتصر، ولا بريء فأعتذر، ولا مستكبر، بل مستغفر لا إله إلا أنت" فلم يزل يرددتها حتى مات.

قال: "اللهم لا بريء فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، وإلا تدركني منك رحمة، أكن من الهالكين"، وكان آخر كلامه لا إله إلا الله.

كان يقول: "أذكر الليلة التي وُلِدَ فيها عمر"، وقد عاش بعد عمر عشرين عاماً، فينتج هذا أن مجموع عمره بضع وثمانين سنة، ما بلغ التسعين -رضي الله عنه-.

الخطبة الثانية:

عمرو بن العاص ممن تأخر إسلامه، وأولاه النبي -صلى الله عليه وسلم- ولاية الجند، وفيهم أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما-، كما في جيش ذات السلاسل. وبعد عودته منها أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: فقلت: أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال فقال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالاً" (رواه البخاري).

عامله النبي -صلى الله عليه وسلم- تعاملاً حسناً حتى ظن أنه أحب الناس إلى قلب النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونقل ابن حجر -رحمه الله- قول عمرو: "فحدثت نفسي أنه لم يبعثني

على قوم فيهم أبو بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده، فأتيته حتى قعدت بين يديه، فقلت: يا رسول الله من أحب الناس إليك" الحديث.

وفيه: "فعدّ رجالاً"؛ أي فعد النبي رجالاً آخرين بعد أسئلة أخرى لي، فسكتُ أي عن ذلك السؤال مخافة أن يجعلني في آخرهم، أي آخر الناس مطلقاً، أو آخر من أسأل عنهم لو سألته، وفي رواية علي بن عاصم قال: "قلت في نفسي لا أعود لمثلها أسأل عن هذا".

والواجب علينا تجاه الصحابة عموماً؛ كما قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "الواجب الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والترحم عليهم، والترضي عنهم، واعتقاد محبتهم وموالاتهم، وعقوبة من أساء فيهم القول".

رضي الله عنه وعن بقية الصحابة الكرام.

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

للصحابة - رضي الله عنهم - سَيْرَ عَطْرَةٍ، فقد صحبوا خير خلق الله محمد بن عبد الله - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم -.

فقد سار الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - على الهدى المستنير في الخلافة والإمارة بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -، أولهم أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين فعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم -، ثم أتم الخلافة بعد مقتل علي - رضي الله عنه - ابنه الحسن - رضي الله عنه -، وتنازل عنها لمعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه -، وسمي ذلك العام عام الجماعة.

وقد ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - فضل الحسن - رضي الله عنه - وهو إلى جنبه والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقبل على الناس مرة وعلى الحسن عليه أخرى، وهو يقول: "إن ابني هذا سيّد، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" (رواه البخاري).

وبعد تنازل الحسن - رضي الله عنه - عن الخلافة لمعاوية - رضي الله عنه - تولاها عشرين عامًا تقريبًا، وقبلها عشرين عامًا في ولاية الشام، ومع كل هذه الحياة السياسة وإدارته أمور المسلمين قلّ الحديث عنه وعن فضائله وأعماله.

اشتهر اسمه بمعاوية بن أبي سفيان، وأما نسبه فهو: معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يلتقي مع نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - في عبد مناف. صحابي جليل، من كُتّاب الوحي، خليفة ملك، كان حليمًا وقورًا، كريمًا عادلًا، شهيمًا فائدًا محنكًا، داهية زمانه، صاحب الفتوحات الإسلامية.

أخته أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -، تأخّر إسلامه إلى عام الفتح وشهد حنين وأعطاه النبي - صلى الله عليه وسلم - من الغنائم.

روى أحاديث كثيرة، في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين.

دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "اللهم اجعله هاديًا مهديًا"، وقال له: "اللهم عَلم معاوية الكتاب والحساب وَفِيهِ الْعَذَابُ" (رواهما أحمد).

قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِنْ وُلِّيت فَأَحْسِن"؛ قال معاوية: فما زلت أطمع في الخلافة مذ قال لي النبي -صلى الله عليه وسلم-.

رآه بعض متفرسي العرب وهو صغير فقال: "إني لأظن هذا الغلام سيسود قومه"، فقالت أمه هند: "ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه".

كان عمر -رضي الله عنه- إذا نظر إلى معاوية قال: "هذا كسرى العرب".

شهد له الصحابة -رضي الله عنهم- بعلمه وفقهه، قيل لابن عباس -رضي الله عنهما-: هل لك في أمير المؤمنين معاوية ما أوتر إلا واحدة؟ قال: "أصاب إنه فقيه".

معاوية فقيه. وقال أبو الدرداء -رضي الله عنه- لأهل الشام: ما رأيت احد أشبه صلاة بصلاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من إمامكم هذا - يعني معاوية -.

ومن صفاته -رضي الله عنه- التي اشتهر بها: التواضع؛ فقد خطب مرة بعد تولي الخلافة وذكر بأن في الناس من هو خير منه؛ فقال: "أيها الناس ما أنا بخيركم، وإن منكم لمن هو خير مني، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكاكم في عدوكم، وأدرككم حلبًا".

وأما كرمه -رضي الله عنه-؛ فقد بعث إلى عائشة -رضي الله عنها- بطوق قيمته مائة ألف فقبلته، وقضى عنها ثمانية عشر ألف دينار.

وقال جابر -رضي الله عنه-: "صحبت معاوية، فما رأيت رجلاً أثقل حلمًا ولا أبطأ جهلاً، ولا أبعد أناة منه".

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "ما رأيت رجلاً كان أخلق للملك من معاوية"، وقال الذهبي -رحمه الله-: "معاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم".

وأما إدارته ومُلكه فشهد بها الصحابة -رضي الله عنهم- ومن بعدهم، قال الإمام الذهبي -رحمه الله-: "حسبك بمن يُؤمَّرُه عمر، ثم عثمان على إقليم - وهو ثغر - فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويرضى الناس بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم قد تألم مرة منه، وكذلك فليكن الملك".

وَفَقَّهَ اللهُ لاختيار الرجال والأعوان بولايتهم وخبرتهم الإدارية والعسكرية، مع حكمتهم ودهائهم. كعمرو بن العاص السهمي، وكالمغيرة بن شعبة الثقفي، وزيايد بن أبيه الثقفي، ويزيد بن الحر العبسي، والضحاك بن قيس الفهري، وعبد الله بن عامر بن كريب، وبالقيادة المقاتلين كالمهلب بن أبي صفرة، وعقبة بن نافع الفهري، ومالك بن هبيرة، وجنادة بن أمية الأزدي وآخرين، فنجح في إدارة الخلافة وانتشار الفتوحات وتوطين الأمن.

ولاه عمر -رضي الله عنه- الشام حتى قُتِلَ، ثم في خلافة عثمان -رضي الله عنه- اثنتي عشرة سنة حتى قُتِلَ، وأربع سنين في خلافة علي -رضي الله عنه- حتى قُتِلَ، وستة أشهر في خلافة الحسن -رضي الله عنه- حتى تنازل، مما يدل على ثقة الخلفاء الراشدين به وبإدارته وضبطه لمصالح العباد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في فضله والثناء عليه -رضي الله عنه-: اتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة؛ فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك فقد كان ملكه ملك ورحمة. وقد ثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكاً".

كان -رضي الله عنه- حكيماً حازماً، فمن حكمته ودهائه أنه قال عن نفسه: "لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت"، قيل كيف يا أمير المؤمنين؟ قال: "إن جذبوها أرسلتها وإن خلوها جذبتها".

الخطبة الثانية:

على قِصَرِ فترة الدولة الأموية البالغة واحداً وتسعين عاماً تقريباً، إلا أنها هي أكثر الدول فتحاً ونشراً للإسلام، فيحدها الدولة الأموية من شرقها أطراف الصين، وحتى جنوب فرنسا غرباً مروراً بالدول العربية والإسلامية وغيرها، بمساحات شاسعة بما يقارب في وقتنا ست وأربعين دولة.

وقد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- فتوحات في البحر والتي لم تعرف إلا زمن عثمان -رضي الله عنه- قالت أم حرام بنت ملحان نام النبي -صلى الله عليه وسلم- يوماً قريباً مني ثم

استيقظ بيتسم فقلت ما أضحكك؟ قال: "أناس من أمتي عُرضوا عليّ يركبون هذا البحر الأخضر كالمملوك على الأسيرة".

قالت: فادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية، ففعل مثلها، فقالت مثل قولها فأجابها مثلها، فقالت ادع الله أن يجعلني منهم فقال: "أنت من الأولين". فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازياً أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت.

مآثر معاوية -رضي الله عنه- عديدة منها: اهتمامه بالمسجد الحرام، فقد أمر بتوسعته وأجرى له القناديل والزيت من بيت المال، وأضاء المصاييح فيه لأهل الطواف.

واهتم بالمسجد الأقصى، وزاد في المسجد الجامع بالفسطاط عام ٥٣هـ وطلا جدرانها بالجص، وزخرف بنيانه، وبنى له أربع منارات شاهخة وفرشه بالحصير.

ووسع المسجد الجامع بالكوفة، وبنى في البصرة المساجد الكثيرة.

وحرص على توفير مياه الشرب في المدينة، وأجرى في الحرم المكي عيوناً، وأنشأ آبار المياه على الطرقات، فربط بين أجزاء مملكته ربطاً محكمًا.

وجعل بمكة دار المراحل وقفاً في سبيل الله، والتي كان يُطبخ فيها طعام الحجاج وطعام الصائمين من الفقراء في شهر رمضان المبارك.

لمعاوية أفضال ومآثر كثيرة قال ابن الجوزي: "قد تعصب قوم ممن يدعي السنة، فوضعوا في فضل معاوية أحاديث ليغيظوا الرافضة، وتعصب قوم من الرافضة فوضعوا في ذمّه أحاديث، وكلا الفريقين على الخطأ القبيح".

هذه ملامح سريعة من حياة صحابي جليل، الغرض منها ذكر فضائله ومناقبه وجهوده وأعماله حيث لم تذكر في السير إلا قليلاً أو ذمًا، والواجب في الصحابة عمومًا كما قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "الواجب الثناء عليهم والاستغفار لهم، والترحم عليهم، والترضي عنهم واعتقاد محبتهم وموالاتهم، وعقوبة من أساء فيهم القول".

والواجب علينا نحن كذلك سلامة قلوبنا لهم وألستنا وحفظ فضائلهم والاعتراف لهم
بسبقتهم ونشر مناقبهم لقوله -تعالى-: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ) [الحشر: ١٠].

رضي الله عن صحابة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- أجمعين.

الدجال

الخطبة الأولى:

ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أشرافاً كثيرة للساعة، منها ما مضى، ومنها ما هو حاضر، ومنها ما هو مستقبل، وأنه سيظهر دجالون وكذابون كثيرون، وأن عدد هؤلاء قريب من ثلاثين، فقال -صلى الله عليه وسلم-: "إنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، آخرهم الأعور الكذاب".

وأبلغ ما يكون من أشرافها وأعظمه فتنة هي فتنة المسيح الدجال، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلم الصحابة ويستعيد بالله من الدجال في صلاته: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال" (رواه مسلم).

والدجال من الدجل وهو التغطية، وأصل الدجل معناه: الخلط وسمي الدجال دجالاً؛ لأنه يغطي الحق بباطله، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتليسه عليهم. والمراد بالدجال هنا: الدجال الأكبر الذي يخرج قبيل قيام الساعة في زمن المهدي وعيسى -عليه السلام-.

وخروج الدجال من الأشراف العظيمة المؤذنة بقيام الساعة، وفتنته من أعظم الفتن والمحن التي تمر على الناس، ويسمى أيضاً مسيحاً؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة، أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً، فهو مسيح الضلالة الذي يفتن الناس بما يجري على يديه من الآيات، كإنزال المطر وإحياء الأرض، وبما يظهر على يديه من عجائب وخوارق للعادات.

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذكر خروج الدجال في آخر الزمان والتحذير منه، حيث وصفه الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأمتة وصفاً دقيقاً لا يخفى على ذي بصيرة، كما حذر منه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- قبله أممهم ووصفوه لهم أوصافاً ظاهرة.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال، ما حدث به نبي قومه؛ إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار، فالتى يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه" (رواه البخاري) ومن فتنته قال النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في الدجال: "إن معه ماء و ناراً؛ فناره ماء بارد، وماءه نار" (رواه البخاري).

وفتنته عظيمة وصفها النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال" (رواه مسلم)، والمعنى ليس فيما بينهما فتنة أكبر أي أعظم من الدجال لعظم فتنته وبليته ولشدة تلبيسه ومخنته، بل ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- عظم فتنته بقوله: "وإنه قد أوحى إليّ أنكم تُفتنون في القبور مثل أو قريب من فتنة المسيح الدجال" (البخاري).

فالدجال: رجل من بني آدم له صفات كثيرة، منها أنه رجل شاب أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وليست بارزة ولا غائرة، كأنها عنبة طافية، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، أي لحمه نابتة فوق مقدمة العين عند المآقي، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كل مسلم كاتب أو غير كاتب، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له.

وفي حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج، جعد، أعور، مطموس العين ليس بناتئة ولا جحراء؛ فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور" (رواه أبو داود). ومن حديث أنس وحذيفة: "وإن بين عينيه مكتوب كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب" (البخاري ومسلم).

وأما عن مكان خروج الدجال؛ فمن جهة المشرق من خراسان من يهودية أصبهان، ويخرج معه، ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفاً من اليهود" (رواه أحمد).

وأما أتباعه فهم اليهود والعجم والترك وأخلاق من الناس غالبهم من الأعراب والنساء. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة" (مسلم). وفي رواية للإمام أحمد "سبعون ألفاً عليهم التيجان".

وورد في حديث أبي أمامة الطويل قوله -صلى الله عليه وسلم-: "وإن من فتنته -أي الدجال- أن يقول للأعرابي: أرايت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك" (رواه ابن ماجه).

وأما أتباعه من النساء فيكن أكثر من الأعراب وغيرهم؛ لسرعة تأثرهن وغلبة الجهل عليهن ونقصان عقولهن ودينهن، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ينزل الدجال في هذه السبخة بمرقنة -وادي بالمدينة-؛ فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل يرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً؛ مخافة أن تخرج إليه" (أحمد).

والدجال لا يدخل مكة ولا المدينة، كما جاء في الحديث الصحيح أن الدجال قال: "فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة؛ فهما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلناً يصدني عنها، وإن على كل ثقب ملائكة يحرسونها" (رواه مسلم)، وعند البخاري: "لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان".

ففتنة الدجال فتنة عظيمة فالتعوذ منه أمر مطلوب في آخر الصلاة بعد التشهد كما ورد في الأحاديث الصحيحة، ويستطيع من يدرکه زمانه أن يحفظ عشر آيات من سورة الكهف ويقرأها عليه فتعصمه من شره وفتنته بإذن الله -عز وجل-. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا تشهد أحدكم فليستعد بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال" (رواه البخاري).

وفي حديث النواس بن سمعان الطويل، وفيه قوله -صلى الله عليه وسلم-: "من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف" (رواه مسلم).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال" (مسلم).

الخطبة الثانية:

المؤمنون لا يفتنهم الدجال ولا غيره، بل يزدادون إيماناً مع إيمانهم، فالدجال رجل من بني آدم لا يرد عن نفسه قدرًا، ولا يجلب لها نفعًا، ولا يدفع عنها ضررًا، حتى إن خلقته التي منها عور عينه والطفرة التي على الأخرى لا يستطيع تغييرها، وكذلك عقمه، وغير ذلك من الصفات، وإنما جعل الله تلك الآيات التي معه فتنة للناس ليضل من ضل عن بينة ويزداد المؤمنون إيمانًا.

قال الخطابي -رحمه الله-: "هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله -تعالى-، من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا، والخصب معه، وجنته وناره ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدره الله -تعالى- ومشيئته، ثم يعجزه الله -تعالى- بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويظل أمره ويقتله عيسى -صلى الله عليه وسلم- ويثبت الله الذين آمنوا".

أما عن مقتل الدجال فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: "يأتي الدجال -وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة- بعض السباخ التي بالمدينة؛ فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثه؛ فيقول الدجال: رأيت إن قتلت هذا ثم أحييته، هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم، فيقول الدجال أقتله؟ فلا يُسلط عليه".

ومن الذين خصهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بتمسكهم بالحق ومقاتلة الدجال بنو
تميم قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "هم أشد أمتي على الدجال" (متفق عليه).
قال القرطبي -رحمه الله- في قوله -عليه الصلاة والسلام- في بني تميم: "هم أشد أمتي
على الدجال"؛ تصريح بأن بني تميم لا ينقطع نسلهم إلى يوم القيامة، وبأنهم يتمسكون في ذلك
الوقت بالحق، ويقاتلون عليه، وفي الرواية الأخرى: "هم أشد الناس قتالاً في الملاحم"، يعني:
الملاحم التي تكون بين يدي الدجال، أو مع الدجال، والله -تعالى- أعلم.
فاللهم إنا نعوذ بك من فتنة الحيا والممات ومن فتنة الدجال.

عيسى ابن مريم عليه السلام

الخطبة الأولى:

العلم بأشراط الساعة من الأمور التي أخبر بها جبريل -عليه السلام- رسولنا -صلى الله عليه وسلم- فقد بيّن له بعضًا من علامتها، وهذه الأشراط تقوّي الإيمان في القلوب، وتحثّ المسلم على الإكثار من الأعمال الصالحة، والاستعداد للقدوم على الدار الآخرة.

والمراد بأشراط الساعة هي العلامات التي تسبقها، ولا دليل في ذلك على كون شيء منها محرّمًا أو ممنوعًا، إنما وقوعه دليل على قرب الساعة ودنو قيامها، ومن علامات الساعة الصغرى منها: بعثته -صلى الله عليه وسلم-، وهي نور وخير للبشرية.

وأشراط الساعة الصغرى ظهر كثير منها، ولم يبق منها إلا القليل، أما أشراط الساعة الكبرى إذا خرجت تتابعت كتتابع الخرز في النظام.

وعلاما الساعة الكبرى ما ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات؛ فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم -صلى الله عليه وسلم-، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف؛ خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم" (رواه مسلم).

ومن علامات الساعة الكبرى: نزول عيسى ابن مريم -عليه السلام- آخر الزمان من السماء، وقد دلّت نصوص الكتاب والسنة على أنه ينزل قبل قيام الساعة، فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويحكم بالقسط، ويقضي بشريعة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويُحْيِي من شأنها ما تركه الناس، ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يموت، ويُصَلَّى عليه، ويُدْفَن.

وقد ورد في القرآن الكريم ثلاث آيات تدل على نزول عيسى -عليه السلام-:

الآية الأولى: قوله -تعالى-: (وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ) [الزخرف: ٦١]؛ أي: أن نزول عيسى -

عليه السلام- قبل القيامة علامة على قرب الساعة، ويدل على هذا: القراءة الأخرى (وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ

للسَّاعَةِ) بفتح العين واللام، أي خروجه عَلم من أعلام الساعة، وشرط من شروطها وأمانة على قرب قيامها.

والآية الثانية: قوله -تعالى-: (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمْوَهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) [محمد: ٤].

قال البغوي -رحمه الله- معنى الآية: "أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم -عليهما السلام-".

والآية الثالثة: قوله -تعالى-: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) [النساء: ١٥٩].

قال الطبري -رحمه الله- عن أبي مالك -رحمه الله-: "ذلك عند نزول عيسى ابن مريم -عليه السلام-، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن به".

قال ابن كثير -رحمه الله-: "ولا شك أن هذا هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصراري الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبِّهَ لهم، فقتلوا الشَّبِيهَ وهم لا يتبينون ذلك، فأخبر الله أنه رفعه إليه، وأنه باقٍ حيٍّ، وأنه سينزل قبل يوم القيامة".

وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بنزوله فقال: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، لا يقبلها من كافر، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها" (رواه البخاري).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة"، قال: "فينزل عيسى ابن مريم -عليه السلام- فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمه الله لهذه الأمة" (رواه مسلم).

وإن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصحيح: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، ليس بيني وبينه نبي"؛ فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخص الناس وأقربهم إليه، فإن عيسى مُبَشَّرٌ بأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأتي من بعده ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به. كما في قوله -تعالى-: (وَمُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)[الصف:٦]. وفي الحديث: قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال: "نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخى عيسى" (رواه أحمد).

وأما صفة عيسى -عليه السلام- كما وصفه الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه رجل مربع القامة ليس بالطويل ولا بالقصير، جعد أحمر اللون، عريض الصدر، أقرب الناس شَبَهًا به عروة بن مسعود الثقفي -رضي الله عنه-.

وقال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لم يكن بيني وبينه نبي -يعني عيسى- وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربع، إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام" (رواه أبو داود). وفي حديث آخر: "رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر" (رواه البخاري).

وأما مكان نزوله -عليه السلام- عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، وعليه مهرودتان، ويكون هذا مع صلاة الفجر حيث اصطف المسلمون للصلاة، وقد تقدم إمامهم والغالب أنه المهدي للصلاة بهم، فعندما يعلم بعيسى -عليه السلام- يتأخر ويطلب من عيسى أن يتقدم ليؤمهم فيأبى، فيصلي بهم المهدي، قال رسول -صلى الله عليه وسلم-: "فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه،

فيطلب بباب لُدّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومًا قد عصمهم الله منه، فيسمح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة" (رواه مسلم).

وأما مدة بقاء عيسى -عليه السلام- إذا نزل: ففي بعض الروايات أنه يمكث سبع سنين، وفي الروايات الأخرى أنه يمكث أربعين عامًا، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون، ففي حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "فبيعت الله عيسى ابن مريم.. ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته" (رواه مسلم).

وفي زمن عيسى -عليه السلام- تكون علامات عظيمة من علامات الساعة الكبرى: أولها: قتل المسيح الدجال، فعندما يعلم الدجال بنزول عيسى -عليه السلام- "يهرب، فيلحقه نبي الله إلى بيت المقدس، فيدركه وقد حاصر عصابة من المسلمين، فيأمرهم عيسى -عليه السلام- بفتح الباب، فيفعلون ويكون وراءه الدجال، فينطلق هاربًا، فيلحقه نبي الله -عليه السلام- فيدركه عند باب لُدّ الشرقي، فيقضي عليه، وعلى من معه من يهود. فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هاربًا، فيقول عيسى -عليه السلام-: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب لُدّ الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله -عز وجل- ليتوارى به يهودي إلا أنطق ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله.. " (رواه ابن ماجه).

وثاني هذه العلامات العظيمة زمن عيسى -عليه السلام- هلاك يأجوج ومأجوج، فعندما يقضي عيسى -عليه السلام- على الدجال وفتنته، يفسد هؤلاء القوم في الأرض فسادًا كبيرًا، فيتضرع نبي الله عيسى -عليه السلام- وأصحابه إلى الله -تعالى- فيهلكهم شرّ هلكة، ويصبحون موتى لا يبقى منهم أحد، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله في الكلام على يأجوج ومأجوج.

القضاء على كل الشرائع والحكم بالإسلام: ومن أجلّ هذا فهو يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية فلا يقبل من أحد إلا الإسلام، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبيًا بشريعة متجددة، غير شريعة محمد نبينا -صلى الله عليه وسلم-، بل إذا أنزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال لعمر: "لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي"؛ فعيسى -عليه السلام- إنما ينزل مقرّرًا لهذه الشريعة مجددًا لها؛ إذ هي آخر الشرائع ومحمد -صلى الله عليه وسلم- آخر الرسل -عليهم السلام-.

ومنها: انتشار الأمن والرخاء بين الخلق وتعم البركة، وتكثر الخيرات؛ حيث تنبت الأرض نبتها، ولا يرغب في اقتناء المال لكثرتة، وينزع الله في ذلك الوقت سُمّ كل ذي سُمّ حتى يلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم، وترعى الشاة مع الذئب فلا يضرها، فتملأ الأرض أمنًا وسلما.

وفي الحديث: ".. ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزقعة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس.." (رواه مسلم).

هذه لمحة من نزول عيسى -عليه السلام- وما سيجري له بعد نزوله إلى الأرض ومعها علامات أخرى مصاحبة لها.
وصلوا وسلموا....

الرجاء

الخطبة الأولى:

الرجاء عبادة قلبية، وهو: الرغبة والطمع في الحصول على شيء مرجو، وهو يتضمن التذلل والخضوع، ويستلزم المسلم فيه طاعة الله قال -تعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [البقرة: ٢١٨]، فجمعوا بين أعمال صالحة من الإيمان والهجرة والجهاد، قال ابن القيم -رحمه الله-: "لولا روح الرجاء، لعطلت عبودية القلب والجوارح".

والرجاء عبادة لا تُصْرَفُ لغير الله قوله -تعالى-: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ)؛ وموعوده وثوابه (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا)، وهو الموافق لشرع الله (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠]. لا رياء ولا سمعة ولا يُصْرَفُ العبادة لغير خالقه، بل يجعل أعماله كلها خالصة لوجه الله، فمن جَمَعَ بَيْنَ الإخلاص والمتابعة نَالَ ما يَرجو ويطلب، ومن عدم ذلك فإنه خاسر، وفاته القرب من مولاه، ونَيْل رضاه.

وقد أمر الله بتعليق الرجاء به فقال: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) [نوح: ١٣]؛ والمسلم يعلق آماله وأطماعه ورجاءه بالله قال -سبحانه-: (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: ١٠٤].

وأنواع الرجاء ثلاثة ذكرها ابن القيم -رحمه الله-: "والرجاء ثلاثة أنواع؛ نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم. الأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله، على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه، ورجل أذنب ذنوبًا ثم تاب منها فهو راجٍ لمغفرة الله -تعالى- وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجل متمادٍ في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

ومن قوي رجاءه ازداد عمله الصالح، قال ابن القيم -رحمه الله-: "كلما قوي الرجاء جدَّ في العمل قوله -تعالى-: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠]."

وفي الحديث القدسي: "قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي" (رواه الترمذي).

والدعاء مع الرجاء موجبان لمغفرة الله -جل وعلا-؛ وهناك من يدعو، وهو ضعيف الظن بربه، لا يحسن الظن بربه، وقد ثبت عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: قال الله -تعالى-: "أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء".

فمن رجا الله غفران ذنبه؛ غفر الله ذنبه، وإن تكررت وكثرت، وإن كثرت وعظمت؛ فإن عفو الله ومغفرته أعظم منها وأعظم. فهي صغيرة في جنب عفو الله ومغفرته.

قال ابن القيم: "فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وغلبة رحمته غضبه.. بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة ولولا ريح الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات".

قال ابن حجر: "والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور".

ومن رجا غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، كمغفرة ذنوبه، أو شفاء مريضه، فقد صرف تلك العبادة لغير الله، ووقع في الشرك الأكبر؛ لأن هذا طمع في شيء لا يملكه إلا الله، وصرف عبادة الرجاء إلى غير الله، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "الرجاء ينبغي أن يتعلق بالله، ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله، فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسبابًا؛ فالسبب لا يستقل بنفسه، بل لا بد له من معاون، ولا بد أن يمنع العارض المعوق له، وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله -تعالى- ومن رجا مخلوقًا أو تعلق به، انصرف قلبه عن العبودية لله، وصار عبدًا لغيره بقدر ما قام في قلبه من التعلق والرجاء فذلّ لغير الله وخضع".

وقال -رحمه الله-: "ما علّق العبد رجاءه وتوكله بغير الله، إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خُذِلَ، وقد قال الله -تعالى-: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) [مریم: ٨١-٨٢]"، وقال -رحمه الله-: "وما رجا أحد مخلوقًا أو توكل عليه، إلا خاب ظنه فيه". ولا يجني من ورائهم سوى الذلة والمهانة.

وقال -رحمه الله-: "إذا تعلق بالمخلوقين ورجاهم وطمع فيهم أن يجلبوا له منفعة، أو يدفعوا عنه مضرة، فإنه يُخْذَل من جهتهم، ولا يحصل مقصوده، بل قد يبذل لهم من الخدمة والأموال وغير ذلك ما يرجو أن ينفعوه وقت حاجته إليهم فلا ينفعونه، إما لعجزهم، وإما لانصراف قلوبهم عنه، وإذا توجّه إلى الله بصدق الافتقار إليه، واستغاث به مخلصًا له الدين، أجاب دعاءه وأزال ضرره، وفتح له أبواب الرحمة".

ومن علّق رجاءه بالبشر خُذِلَ، قال ابن القيم -رحمه الله-: "وكل من خاف شيئًا غير الله سلّط عليه، كما أنّ مَنْ أَحَبَّ مع الله غيره عُذِّبَ به، ومن رجا مع الله غيره خُذِلَ من جهته، وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلتها".

قال الكرمانى: "علامة صحة الرجاء حسن الطاعة". فيجب على العبد أن يعلّق رجاءه بالله دون سواه، فالخلق مجبولون على الضعف، عاجزون عن جلب النفع لأنفسهم ودفع الضر عنهم، وهم عن غيرهم أعجز، فلا تُعلّق أطماعك وأملك بغير الله، فلن تجني سوى العدم، ودلّ المسألة والتفريط في عبادة جليلة، وارحُ كرم الله وعطاءه وجزيل مناه، فتلك عبادة عظيمة، واطلب منه كشف الحاجات والمللمات، فذلك أرفع للدرجات، وأعز للنفس، وفيه تحقيق للمأمول.

الخطبة الثانية:

الرجاء يحدو بالعبد في سيره إلى الله، ويطيب له المسير، ويحثّه عليه، ويبعثه على ملازمته، قال ابن القيم -رحمه الله-: "ولولا الرجاء لما سار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء".

والعبد يجمع بين المحبة والرجاء والخوف، ولا تحصل العبودية لله إلا بهذه الثلاثة، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "اعلم أن محرّكات القلوب إلى الله -عز وجل- ثلاثة: المحبة والخوف

والرجاء، وأقواها المحبة، وهى مقصودة تراد لذاتها؛ لأنها تُرَاد في الدنيا والآخرة، بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة، قال الله -تعالى-: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [يونس: ٦٢].

والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق؛ فالمحبة تلقي العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قَدْر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده.

قال الشافعي:

فلما قسا قلبي وضافت مذاهبي *** جعلت الرجا مني لعفوك سلِّما

تعاضمني ذنبي فلما قرنته بعفوك *** ربي كان عفوك أعظما

فالرجاء والخوف كجناحي طائر يخافه الله ويرجوه بأداء الأعمال الصالحة، ومع ذلك يرجو الله ويخافه، كما قال الله عن الرسل -عليهم السلام-: (كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [المؤمنون: ٩٠]؛ فمعنى (رَغَبًا) يعني رجاء، ورَهَبًا يعني خوفًا.

فالواجب على المسلم أن يجمع بين الخوف والرجاء، فلا أمن ولا قنوط، بل يسير بينهما حتى يلقى ربه.

وصلوا وسلموا....

أهمية النية في العمل

الخطبة الأولى:

الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، ولا يَطَّلَعُ عَلَى النِيَاتِ إِلَّا خَالِقُهَا، وكل عمل لازمته نية صادقة، فإنه مأجور عليه، حتى ولو لم يعمله، قال الله في وصف فقراء الصحابة - رضي الله عنهم - الذين رغبوا في مشاركة النبي - صلى الله عليه وسلم - في تجهيز غزوة تبوك وتعذر عليهم وجود الرجل - أي ما يركبون عليه -: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) [التوبة: ٩٢].

وإن كانت النية غير صالحة فإنه لا يُؤَجَّرُ المرء على أداء العمل حتى لو كان ظاهره الصلاح، فقد أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهدم مسجد الضرار؛ حيث لم يُؤَسَّسْ على تقوى من الله ورضوان، بل اتخذه المنافقون ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين ومقرًا للرصد والإعداد لحرب المسلمين.

ومعنا حديث عظيم في النيات يُنبِّه كل غافل، ويُجذِّر كل عالم، ومُنْفِق، ومُجَاهِد، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يَقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ".

وفي رواية: "فَيَقُولُ أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ؛ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى - لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يَقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ؛ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ".

"ورجل تعلَّم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: مَا فَعَلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتَهُ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيَقَالَ

عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار".

وفي رواية الترمذي: "قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال إن فلاناً قارئ؛ فقد قيل ذلك".
"ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها. قال: ما تركت من سبيل تُحب أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ ولكنك فعلتَ ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار".

وفي رواية: "قال: كنت أصل الرحم وأتصدق؛ فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة كذبت، ويقول الله -تعالى-: بل أردت أن يُقال: فلان جواد؛ فقد قيل ذلك" (رواه مسلم)، وفي الحديث أن معاوية لما بلغه هذا الحديث بكى حتى عُشي عليه؛ فلما أفاق، قال: صدق الله ورسوله قال الله -عز وجل-: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [هود: ١٥-١٦]. فالجاهد قاتل وجاهد ليقال: إنه شجاع، وإنه جريء، والعالم تعلّم العلم ليقال إنه عالم، والمنفق أنفق الأموال ليقال: إنه جواد ومنفق.

فهؤلاء الأصناف الثلاثة يظهر للناس صلاح أعمالهم، لكنهم ما أردوا بها وجه الله، وإنما مدح الناس وثنائهم على صنيعهم.
الخطبة الثانية:

الأصناف الثلاثة المذكورين في الحديث أعمالهم عظيمة، وتضحياتهم جسيمة؛ فالجاهد في سبيل الله ترك ماله وولده وداره، وتعرض للمخاوف والأخطار، بل القتل أو الإصابة. والثاني: تعلم العلم وقرأ القرآن الكريم، وبذل وقته الساعات الطوال، ولم يقصد بها وجه الله -تعالى-.

وقد ورد الوعيد على تعلُّم العلم لغير وجه الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ تعلم علمًا مما يُبتَغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" -يعني ربحها- (رواه أبو داود).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ طَلَبَ العلم ليماري به السفهاء، أو يجاري به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس، إليه أدخله الله النار" (رواه الترمذي).

والثالث: رجل وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، لكنَّه لم يشكر الله على النعمة التي بسطها الله له، ولم يُحسِّن للناس إلا ليقال جواد ومنفق وكرم وباذل، والبذل والصدقة إنما تكون طلبًا لمرضاة الله، وطمعًا في ثوابه.

لذا على المسلم أن يتعلم ويُعلِّم لله، وينفق لله، ويجاهد لله، فالإخلاص في كل عمل صالح شرط لقبوله؛ قال -سبحانه-: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. وقال -تعالى-: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠].

هذه الأصناف الثلاثة في الحديث تنوعت الأعمال فيها، فمنها ما هو بدني وهو الجهاد في سبيل الله، ومنها ما هو مالي وهو البذل والنفقة، ومنها ما هو معرفي وهو العلم؛ لذا على المسلم أن يحذر من أن يبتغي بعمله الناس أو الدنيا، بل يجعل نصب عينيه ثوب الله والدار الآخرة. وفتحنا الله وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح المتقبل.

وسائل الثبات

الخطبة الأولى:

الدنيا دار ابتلاء، يتبلي الله به عباده بأنواع من الفتن، فيبتلي من شاء بالشر، ومن شاء بالخير قال - سبحانه -: (وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء: ٣٥]. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "أي نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال ليرى الله فيها من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط".

والفتن متعددة ومتنوعة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرْضَ الْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بِيضَاءٌ، حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ أَيْضَ مِثْلِ الصَّفَا، لَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدَ مُرْبَدًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًّا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ" (رواه مسلم).

فيتبلي الله العباد بما شاء، فقد يكون الابتلاء بسبب تقلبات في الكون. قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بَنُوهُ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ" (متفق عليه).

وكان من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -: "يا مقلب القلوب! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". فقيل له في ذلك، فقال: "إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ" (أخرجه الترمذي والنسائي).

وسائل الثبات كثيرة وعديدة؛ فمن ثبته الله في أموره عَصِمَ من الوقوع في الموبقات، ولم يصدر منه أمرٌ على خلاف ما يرضاه الله، فيلزم المسلم الدوام على الدين والاستقامة والثبات عند الاحتضار أو السؤال في القبر.

أول هذه الوسائل: معرفة الله بأسمائه وصفاته، فهي مُعِينَةٌ على الثبات على لزوم الصراط المستقيم، ولا يكون ذلك إلا بالعلم من منهل الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة، قال شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته، كان إيمانه به أكمل".

ومن أهم عوامل الثبات: أداء الصلاة؛ قال -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: ١٥٣]. قال ابن كثير -رحمه الله-: "فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر. ولذا قال الله -عز وجل- فيها: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [العنكبوت: ٤٥]".

ثانيًا: تلاوة كلام الله -تعالى- وتدبره مُثَبِّتٌ لقلب المسلم من الزبغ؛ قال -سبحانه-: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) [الفرقان: ٣٢]، وقال -تعالى- مخاطبًا نبيه -عليه السلام-: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِنُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل: ١٠٢]. فُثَبِّتَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا على إيمانهم ويزدادون يقينًا بما فيه من الحجج والآيات.

ثالثًا: التمسك بشرع الله المستقيم وهدى نبيه -صلى الله عليه وسلم- القويم، قال -تعالى- (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) [إبراهيم: ٢٧]. وهذا ما أمرنا باتباعه وعلى ما سار عليه الصحابة -رضي الله عنهم- ولذا قال -تعالى-: (فِيهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ) [الأنعام: ٩٠].

رابعًا: التأمل في قصص الأنبياء وما جرى لهم من أحداث؛ قال -تعالى-: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) [هود: ١٢٠]؛ ليزيدك يقينًا وطمأنينةً، وثباتًا بما تسمع من أخبارهم، وما جرى لهم مع قومهم، وما لقوا من الأذى منهم، فتتسلى بهم، وتثبت على أداء الرسالة، واحتمال أذى الكفار، وأن العاقبة دومًا للمتقين.

قال البغوي - رحمه الله -: "وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل، أي: من أخبارهم وأخبار أممهم نَقَصَّهَا عَلَيْكَ لِنُتِبَتْ بِهِ فؤادك، لنزيدك يقينًا ونُقَوِّي قلبك".

خامسًا: لزوم الدعاء بالثبات، فهو سلاح المؤمن، يدعو ربه ويسأله الثبات، كقوله - تعالى - : (رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) [آل عمران: ١٠٨]. وكان من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك لسانًا صادقًا وقلبًا سليمًا، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب" (رواه النسائي).

ومن وسائل الثبات: لزوم ذكر الله فمن أحب شيئًا أكثر من ذكره، وكانت له طمأنينة في القلب وراحة في النفس، والذكر من الوسائل المعينة على الثبات الحسي والمعنوي حتى عند تلاحم الصفوف قال - سبحانه -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الأنفال: ٤٥].

ومن وسائل الثبات: صحبة الأخيار؛ فهي سبب للثبات، فقد وصى العالم الرجل أن ينطلق إلى أرض قوم يعبدون الله بها بدل أرض السوء قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "كَانَ فِيْمَن كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فَاَنْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فِإِلَى

أَيَّتَهُمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ. قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ" (رواه مسلم).

ومن الوسائل: الأسرة الصالحة وحسن اختيار الزوجة؛ فقد وصَّى بها النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "فاظفر بذات الدين تربت يداك"؛ فهي تُعين الزوج على أمور دينه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء" (رواه أبو داود).

ومن الوسائل المثبتة لقلب المسلم: جهاد النفس في الصبر على الحق، ولزوم الحق بطاعة الله وترك معاصيه.

ومن الوسائل المعينة على الثبات: التفكير في نعيم الآخرة الباقي الكامل بزهرة الدنيا القليلة الناقصة؛ فالآخرة خير وأبقى وأكمل وأدوم.

الخطبة الثانية:

ثبت النبي -عليه الصلاة والسلام- في أداء الرسالة وتبليغ الدين ثلاثاً وعشرين عامًا تعرَّض فيها للأذى والأخطار والتُّهَم وسماع الألقاب السيئة. وكذلك أنبياء الله -عليهم السلام- ثبتوا على تبليغ الرسالة إلى أقوامهم.

وثبت أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- مع النبي -صلى الله عليه وسلم- أيما ثباتٍ، حتى ضربه المشركون بالنُّعال حتى ما يُعرَف وجهه من أنفه، وخاطرَ بنفسه في مكة والغار وفي طريق الهجرة وبعدها حتى توفاه الله.

وثبت ياسر بن عامر بن مالك وزوجته سمية بنت خياط وولده عمار بن ياسر، فما أثناهم العذاب عن ثنيهم في الرجوع عن الإسلام. وثبت من قبله من مؤمني الأمم السابقة بعد إيمانهم كسحرة فرعون حين قالوا: (أَمْنَا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) [طه: ٧٠]. فهَدَّدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب على جذوع النخل فكان ردهم ثابتًا (قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا

مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا
لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى [طه: ٧٢-٧٣].

وثبت أصحاب الأخدود الذين لم تُرهبهم النار ذات الوقود، والأمثلة في الباب كثيرة.
قال ابن القيم -رحمه الله-: "طوبى لمن أقبل على الله بكُليته وعكف عليه بإرادته ومحبتة؛
فإن الله يُقبل عليه بتوليته ومحبتة وعطفه ورحمته، وإن الله -سبحانه- إذا أقبل على عبد استنارت
جهاته، وأشرقت ساحاته، وتنوّرت ظلماته، وظهرت عليه آثار إقباله من بهجة الجلال وآثار
الجمال وتوجّه إليه أهل الملأ الأعلى بالمحبة والمولاة؛ لأنهم تبع لمولاهم، فإذا أحب عبدًا أحبّوه
وإذا والى والياً والوه".

تبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

الهم والحزن

الخطبة الأولى:

يعيش المرء في هذه الحياة بين أفراح وأتراح وسعادة وحزن؛ فيوم علينا ويوم لنا، ويوم نساء ويوم نُسَرَّ؛ ولذا جعل الله من نعيم أهل الجنة أنهم لا يحزنون (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) [فاطر: ٣٤].

فأهل الإيمان ذكَّروهم الله بقوله: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ) [آل عمران: ١٣٩]. وفي الآخرة: (لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة: ٢٧٧]، وقال الله لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) [النحل: ١٢٧]؛ أي: لا تحزن على من خالفك.

والحزن يصيب البشر أجمعين حتى صفوة الخلق -عليهم السلام-، قال الله لنبيه -عليه الصلاة والسلام-: (وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) [الحجر: ٩٧]، وحين سألت عائشة -رضي الله عنها- النبي -صلى الله عليه وسلم-: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحُد؟ قال: "لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت؛ فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب" (متفق عليه).

وقد سلَّى النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا بكر وهو في الغار حين قال: (ثَانِيِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) [التوبة: ٤٠].

ويعقوب -عليه السلام- حَزَنَ حَزْنًا شَدِيدًا عَلَى فِرَاقِ ابْنِهِ يُوسُفَ، قَالَ اللَّهُ فِي وَصْفِ هَذَا الْأَمْرِ: (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) [يوسف: ٨٤].

الهم والحزن معناهما متقارب؛ فالهم هو المكروه المؤلم على القلب على أمر مستقبل يتوقعه، والحزن: هو المكروه المؤلم على القلب على أمر قد مضى، وقد استعاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- منهما بقوله: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن" (رواه البخاري).

وكان من دعائه -عليه الصلاة والسلام- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدلٌ في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله -عز وجل- همه وأبدله مكان حزنه فرحاً. قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات. قال: "أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن" (رواه أحمد).

ثم يعلم المسلم أن ما يصيبه من المشاق والصعاب هي سنة الله في خلقه، قال -سبحانه-: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) [البلد: ٤]. وأن ما يصيبه مأجور على قليله وكثيره، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها" (رواه البخاري).

والاستعانة بالصبر والصلاة دواء للأرواح قال -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: ١٥٣]، وتلاوة كلام الله -تعالى- فيه شفاء وطمأنينة وسكون، قال -تعالى-: (وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) [الإسراء: ٨٣]. وتفريج الكربات ومساعدة الضعفاء سبب للسعادة وزوال الهم.

الخطبة الثانية:

الهم والحزن يُضعف البدن، ويوهن القلب، وقد يجلب الأمراض، وعلاج الهم كما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب".

والهم له آثار ضارة على البدن، قال الحافظ ابن حبان -رحمه الله-: "لا ينبغي للعاقل أن يحزن؛ لأن الحزن لا يرد المصيبة، ودوام الحزن يُنقص العقل".

وقد سُئل عليّ -رضي الله عنه-: من أشد جند الله؟ قال: الجبال، والجبال يقطعها الحديد فالحديد أقوى، والنار تذيب الحديد فالنار أقوى، والماء يُطفئ النار فالماء أقوى، والسحاب يحمل

الماء فالسحاب أقوى، والريح تعبث بالسحاب فالسحاب أقوى، والإنسان يتكفأ الريح بيده وثوبه فالإنسان أقوى، والنوم يغلب الإنسان فالنوم أقوى، والهم يغلب النوم فأقوى جند الله هو الهم يُسلطه على من يشاء من عباده".

فعلى المسلم أن يعمر حياته بالعبادة والطاعة، وأن يحفظ وقته من الضياع، وأن يشتغل بالمفيد، ويلزم صحبة الأخيار، ويتقرب إلى الله بالعبادات كأداء العمرة وزيارة مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وزيارة الأرحام والأصحاب، والدعوة إلى الله، وقضاء حوائج المسلمين. وصلوا وسلموا....